



ISSN: 1817-6798 (Print)

Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: <http://www.jtuh.tu.edu.iq>
JTUH
 مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
 Journal of Tikrit University for Humanities

Mohaimen Ali Khudhair
 Abbas Al-Mashayikhi

D. Abdul Razzaq Fayyad al-
 Jubouri

Department

* Corresponding author: E-mail :
Aa_11600@yahoo.com

٠٧٨٢٤٩٤٠١٢٨

Keywords:

criticism,
 art,
 pure,
 context,
 meaning,
 imam

ARTICLE INFO**Article history:**

Received 16 Feb. 2021

Accepted 16 Mar 2021

Available online 15 Aug 2021

E-mail

journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.iqE-mail : adxxxx@tu.edu.iq

Journal of Tikrit University for Humanities

Verbal Art to Change the words of Imam Taher bin Ashour e (١٣٩٣) in His Interpretation of Liberation and Enlightenment A B S T R A C T

The science in the Book of Allah is one of the most honored sciences and for the sake of knowledge, and going into the orchards of interpretations is more complete, so since I have been singled out by Allah Almighty to look at my doctoral studies in the study of the verbal art of imam Ibn Ashour 1393 for the theory of verbal art fulmination on many good, and grace like the abundant sea, because I read what I did not know before, so I chose to search the phenomenon of art at Imam Muhammad bin Ashour in his interpretation and enlightenment. I chose here to look for one phenomenon in which the Qur'an is in the heterogeneity of words and their adaptation to meaning and context, and i did not know more than the presentation, because the research does not expand, and I referred to my study there for more statement and detail, but our research here was based on a preface of the life of the pure imam, his interpretation, the liberation and enlightenment. The first is entitled: Verbal artfulness in the heterogeneity of names, and the second is artfulness in deeds, and no more so that I do not waste the sweetness of reading in my thesis, and it is God's luck .

© 2021 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: <http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.28.2021.07>

التفنن اللفظي لتغاير الألفاظ عند الإمام الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) في تفسيره التحرير
 والتنوير

مُهَيِّمِن علي خضير عباس المَشَايخي
 أ . د . عبد الرزاق فياض الجبوري
الخلاصة:

بسم الله خالق السماء بلا عَمَد , وبإسط الارض من غير أحد , والصلاة والسلام على رسول الله ,
 , نبي الرحمة , وإمام الامة , وشفيع الخلق يوم العرض على ربِّ السماء والارض , وعلى آله الاخيار ,

وصحبه الأبرار , ومن سار على نهجه ما تعاقب الليل والنهار , وبعد ...
فإن العلم في كتاب الله تعالى من أشرف العلوم وأجل المعارف , والخوض في بساطين التفسير أكمل
المشارف , لذلك فإني منذ خصني الله تعالى بالبحث في دراستي للدكتوراه في دراسة أوجه التقنن اللفظي
عند إمام عصره الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) لنظرية التقنن اللفظي على خير كثير, ونعمة كالبحر
الغزير, لأني قرأت ما لم أكن أعلمه سابقاً , لذا فقد اخترت البحث في ظاهرة التقنن عند الإمام محمد بن
عاشور في تفسيره التحرير والتنوير, لأثبت أولاً أنَّ التقنن اللفظي على علوق كبير بالمعنى والسياق ,
ومقام أحوال المخاطبين, وأنَّ القرآن تقنن في مختلف أساليب التعبير تبعاً لبلاغته وبما يُظهر اعجازه ,
واخترت هنا البحث عن ظاهرة واحدة عنده وهي تقنن القرآن الكريم في تغاير الألفاظ وموائمتها للمعنى
والسياق , ولم أكن أكثر من العرض إذ البحث لا يتسع , وأشرت الى دراستي هناك لمزيد بيان وتفصيل ,
أمّا بحثنا هنا فقام على تمهيد ذكرته فيه جانباً عن حياة الإمام الطاهر وتفسيره والتحرير والتنوير ,
ومبحثين: الأول منهما بعنوان : التقنن اللفظي في تغاير الاسماء , والثاني : التقنن في الأفعال , ولم أكن أكثر
لئلا أضيع حلاوة القراءة في أطروحتي تلك , ومن الله التوفيق .

الطاهر بن عاشور والتحرير والتنوير

أولاً : الطاهر بن عاشور

أ - اسمه

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن عاشور , الشريف الأندلسي
الأصل ثمَّ التونسي , وأمُّه فاطمة بنتُ الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بن
محمد بو عتور , وقد تواطأت المصادر التي ترجمت للشيخ الطاهر على تسميته بـ " محمد الطاهر " ممَّا يدلُّ على
أنَّه اسمٌ مركَّب , وليس هناك ممَّن سمَّاه محمدًا مفرداً .^١

ب _ مولده

وُلِدَ شيخُ الإسلام ومفتي الدار التونسية الشيخُ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله في ضاحية المرسى , وهي
ضاحية تقع على بعد عشرين ميلاً من العاصمة التونسية من جهة الشمال, في قصر جدِّه للأخ الشيخ الوزير
محمد العزيز بو عتور^٢ , في جمادي الأول عام ١٢٩٦ هـ - أيلول عام ١٨٧٩ م .^٣

ت _ نشأته ومكانته العلمية

إنَّ نشوءَ الطاهر في كنف جدّه الوزير الشيخ محمد العزيز بو عتور ، وبعناية والده الشيخ محمد بن محمد الطاهر بن عاشور جعله يتربّى تربية علمية وعملية ودينية ، إذ بدأ منذُ طفولته بحفظ القرآن الكريم وتعلمه في البيت وفي الكتاب ، وكان هذا في السادسة من عمره، وتلقى تعليمه الديني والعلمي على جهابذة العلماء وفحول الخطباء في عصره في مختلف العلوم والفنون ، فتعلم العربية والمنطق وعلم الكلام والفقه والفرائض والاصول والحديث والسيرة .

التحق بجامعة الزيتونة في الرابع عشرة من عمره ، فتلقى عناية علمية من اساتذته على مرّ سبعة أعوام ، درس فيها أهم الكتب التي تُكوّن الشخصية العلمية التي أتاحت له فيما بعد أن يتقلّد العديد من المناصب الإدارية وأن يشغل العديد من الوظائف الحكومية وغيرها ، حتى قال عنه زميلُهُ للدراسة والدرب الشيخ محمد الخضر حسين : ((وللاستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان ، ويضيف غزارة العلم ، وقوة النظر، وصفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب العربية، وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم .^٤

ومِمّا ساعده على تحصيله العلمي إلى جانب مشايخه ، المحيط الذي كان يعيش فيه ، فقد كان محيطاً علمياً، متحرراً في طلبه ، وثورياً معانداً في مطالبه ، إلى جانب رفقته في العلم وأهمهم الشيخ محمد الخضر بن حسين ، ومِمّا زاد الأمر سهولة وجود مركز العلم ومنارة الفهم ، ومنطلق التربية ومحطة الوعي جامع الزيتونة، فقد كان المركز الذي يجمع في صفوفه أعداداً من الطلبة ممّا لا تجده في غيره، فقد بلغ عدد الطلبة المنتمين إليه (٩٨١٨) طالباً في عام ١٩٤٨ م .^٥

وكان من المتميزين فيه ، فقال عنه محمد الطاهر الميساوي: لقد عرفت الزيتونة محمداً الطاهر طالباً نابهاً متميزاً في تحصيله العلمي ، وخبرته في أروقتها ، مدرساً متحمساً مقتدراً ، وعَهْدُهُ طُلَّابُهَا وأساتِذُهَا داعيةً لإصلاح التعليم الزيتوني وحاملاً للوائه ، وعاملاً في سبيله من مواقع مختلفة ، كما عرفت تونس ابن عاشور شيخاً لجامعها الأعظم - الزيتونة - وخبرته قاضياً ومفتياً يتوخى تحقيق العدالة والالتزام بالحق في أقضيته وفتاويه مهما كان في ذلك معارضة لرغبات المتقاضين ، أو المناقضة لأهواء المستفتين .^٦

وقال عنه المصلح الجزائري العلامة محمد البشير الإبراهيمي : علم من الأعلام الذين يعدُّهم التاريخ الحاضر من ذخائره ، فهو إمامٌ متبحر في العلوم الإسلامية ، مستقل في الاستدلال ، واسع الثراء من كنوزها ، فسيح الذرع بتحملها ، نافذ البصيرة في معقولها ، وافر الاطلاع على المنقول منها ، أقرأ وأفاد ، وتخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي .^٧

وقال عنه الدكتور عبد الرحمن العثيمين : من أفاضل الرجال في عصرنا , أدركتُهُ ولم يُقدر لي أن أراه, وهو من محاسن العصر, ونوادر الرجال, رئيس المفتين المالكيين في تونس, وشيخ الجامعة الزيتونة, خُلف مكتبة حافلة بنوادر المخطوطات والمطبوعات , وألّف آثاراً جليّة .

وكذلك قال عنه الشيخ الشاذلي القليبي : وقد كان له في مدة قيامه بالتدريس بالمدرسة الصادقية تأثير يذكره تلاميذه إلى حدّ اليوم في وضع المسائل على نمط طريف تظهر فيه سعة الإلمام مع حيوية الفكر الثاقب , وإليه الفضل الأكبر - بعد الله تعالى - في إصلاح التعليم الزيتوني في عصرٍ كانت الزيتونة معقلاً من معاقل الذاتية التونسية بذودها عن الدين وحفاظها على اللّغة القومية, وإبقاء الصلة بالتراث العربي الإسلامي.^٨

وسطرّ في حقه الشيخ الحبيب بن خوجة أوصافاً أجملت ما قيلَ عنه فقال: من مزايا هذا العَلم الفرد الذي هو آخرُ مَنْ نعلّمُ من نَوْعه- لا في افريقيا وحدها , أو ربوع المغرب العربي , أو بلاد المشرق ولكن في أطراف العالم الإسلامي- إقباله من غير كلِّ على التحرير والكتابة والتحقيق والتأليف ... من زمن فتوّته وشبابه إلى أن أدركه ريبُ المنون .^٩

ث _ وفاته

وبعد أن فتح الله تعالى على يديه مختلف الفتوحات العلمية والإصلاحية التي كان القصد منها الإخلاص أولاً في العمل لله تعالى ثُمَّ لخدمة الأمة الإسلامية بما يرتقي بها إلى أسمى شرفات الحياة , إذ كان عملهُ الإصلاح والتعليمي يصبُّ في بودقة العموم العربي , وإن كان في المغرب العربي واضحاً أكثر وفي تونس بالتحديد , بعد هذا كله انتقل إلى الرفيق الأعلى في الثالث عشر من شهر رجب الأول سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م , عن عمر يناهز (٩٧) عاماً من العطاء والجد والحياة الحافلة بالعلم والإصلاح , ودُفِنَ في تونس.^{١٠}

ثانياً : التحرير والتنوير

أ - اسمه و تأليفه

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد, هذا هو الاسم الكامل لأشهر ما ألّفه شيخ المشايخ وعلامة العصر الشيخ بن عاشور رحمه الله , وذكره الطاهر فقال: وسميته تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد , واختصرْتُ هذا الاسم إلى التحرير والتنوير .^{١١}

يقع تفسير التحرير والتنوير في خمسة عشر مجلداً ، تحتوي بحسب الترتيب لصفحاته على واحدٍ وثلاثين جزءاً^{١٢} ، وتبلغ صفحات التحرير مجتمعة (١١١٨٨) إحدى عشرة ألف ومائة وثمانٍ وثمانون صفحة ، وذكر في نهاية تأليفه: وكان تمام هذا عصر يوم الجمعة، الثاني عشر من رجب ، عام ثمانين وثلاثمائة وألف ، وكانت مدة تأليفه تسعاً وثلاثين سنة وستة أشهر.^{١٣}

وهومن أهم الأعمال العلمية والإسلامية التي عنيت بتفسير القرآن الكريم ، ليس على المستوى المحلي لتونس فحسب ، بل على مستوى العالم العربي والإسلامي ، وكثرة الدراسات المقدمة حول الطاهر وتفسيره خير دليل على أهمية هذا التفسير وبداية تأليفه، ولا غرو فقد انتهت إلى الشيخ رحمه الله الرئاسة العلمية في شمال افريقيا متمثلة بجامعة الزيتونة ، وهو في الوقت نفسه نتاج التحصيل الدراسي لمشايخ الطاهر ممن كان لهم الفضل بعد الله في تعليمه وارشاده ، وهو ذخّر هذه الأمة من المنسوب الذي لا ينضب ولا ينفد.^{١٤}

ت _ منهج ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير

إنّ تفسير القرآن الكريم لا يعدوا أن يخرج عن أحد طريقي التفسير وهما: التفسير بالمنقول ، والتفسير بالمعقول، والذي يغلب على التحرير والتنوير هو المعقول ، لذلك فقد أفاض في بيان حالاته ومعانيه ، إلّا أنّ معقوله من القسم اللغوي البياني النحوي، وهو ما أفاده في مقدمته له ، وهو ما كان ذا أهمية له ؛ لأنّ البلاغة القرآنية أسرت ألفاظه وملكته التعبيرية حتى أنّه أفرّد إحدى مقدماته لهذا الشأن ، فبيّن بلاغة القرآن وبأي شيء يكون الإعجاز .^{١٥}

فتفسير التحرير والتنوير تفسير لغوي نحوي بياني ، ويتجلى ذلك في أغلب صفحاته بل في كلّ فقرة منه ، وهذا ما جعله يترأس تفاسير القرآن ، ومحط أنظار الكثيرين ، لما فيه من بلاغة الكلمة وفصاحة التعبير وجمال الأسلوب، مُظهرًا ما في الآيات من البلاغة والفصاحة والإعجاز بطريق المتمكّن من زمام الأمور ، كالشاعر المفلّق في جميع البحور .

ومنهجُه في تناول الآيات أنّه يبدأ أولاً ببعض متعلقات السورة ، وهي ما عدّها الدكتور أبو حسان بمكان ، وهي أهم وأدق وأمتع ما كُتب في هذا التفسير من التحقيق العلمي^{١٦} ، وأول ما يذكره ما يتصل بمباحث علوم القرآن، كاسم السورة، ثمّ ما يتعلق ببيان أصول معاني المفردات وما يتعلق به من ضبط أو تصريف أو اشتقاق مع الخلاف إن وُجد، ثمّ مواقع الكلم من الإعراب ووجوهها واختلافها ، ثمّ يغوص غوص الباحث عن كنز فريد متأملاً أجمل صور التعبير ، وأدق تفاصيل البلاغة ، وأوضح ضروب

المعاني , مستتباً اسرار التركيب البديع في نظم آياته وتراكيبه وإعجاز نظميه في السورة وفي الآيات وفي القرآن جميعه .^{١٧}

أما الاعتدال برأيه فكان الأكثر فيما يُنظر في تفسيره , وهذا يدل على ثقة بالنفس عالية , وصدق علميته , وفي بعض الاحيان ينقد الرأي ويرد على صاحبه أقسى رد , ولكنه مع هذا يرجح ما يراه صائباً من الآراء , ويذكر البقية وإن كانت في نظره بعيدة عن مراد التعبير .

ومن أسلوبه أنه أكثر من قول : والوجه عندي ... , والقول عندي ... , أو : والوجه ... , أو : وعندي ... , وهذا دليل على الثقة العالية , والاعتداد برأيه , واعتماده على التحليل العقلي .

ث - التفنن اللفظي لغة واصطلاحاً

١ _ التفنن لغة

جاء في العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) أن الفن : الحال , والفنون : الضروب , يُقال : وعينا فنون النبات , وأصبنا فنون الأموال , ويُجمع على أفنان ... , والرجل يُفَنُّ في الكلام , أي : يشتق في فنٍ بعد فنٍ , والتفنُّ : فعلُك , والتفنُّن : فعلُ الثوب إذا بلي من غير تشقق^{١٨} , والفن واحدُ الفنون , وهي الأنواع , والأفانين : الأساليب , ورجلٌ متفننٌ : أي : ذو فنون , وافتن الرجل في خطبته : جاء بالأفانين , وجمعه أفنان , وجمع الجمع أفانين , أي الأغصان , والتفنُّن : التخليط .^{١٩}

واللفظ مفصل في المعجم الوسيط ومنه : فن فلان في الشيء : زينته , وافتن في القول : سلك به أفانين وأنواعاً , والفن : جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف وبخاصة عاطفة الجمال .^{٢٠}

وفي مختار الصحاح أن الفنون : الأنواع , والأفانين : الأساليب , وهي أجناس الكلام وطرقه , ورجلٌ متفنن : جاء بالأفانين^{٢١} , أو هو التزيين , والتفنُّن في الشيء : تنوعت فنونه , وفي الكلام : التحسين ,^{٢٢} , وقيل : الأفنان : الألوان , واحدها فن , وهو الضرب من كل شيء , وعليه فاللفظ يدل على الأنواع , أو الأصناف .^{٢٣}

٢ _ التفنن اصطلاحاً

إن جميع التعريفات السابقة للتفنن ترتبط جلياً بالمعنى الاصطلاحي له , ومنطلق الاصطلاح هو من المعنى المعجمي الدلالي , فيمكن أن نقف على تعريف التفنن في الاصطلاح بأنه : التزيين في الكلام

، واستخدام جميع الوسائل الممكنة من قبل المتكلم لتحسين كلامه وإظهاره بأجمل صورة ، وأوثق نظاماً ، وأكثر تعلقاً بالمعنى غير خارج عن السياق، وأكثر تأثيراً في النفس عند السامعين بمراعاة قواعد اللغة .

أمّا التفنن عند الطاهر بن عاشور رحمه الله فلا يخرج في تعريفه له عن مقتضى البلاغة والفصاحة، والابتكار في القرآن ، بل هو أحد مبتكرات القرآن ، ويرتبط بالسياق وبالوسائل أو الأساليب التعبيرية التي جاء بها القرآن على نسق ما كان معروفاً عند العرب ، أو على نسق جديد جاء به في التعبير عن المعاني ، والتفنن عنده : هو بداعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض والتنظير والتنزيل والإتيان بالمترادفات عند التكرير تجنباً لثقل تكرير الكلم ، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات المعداد من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العربية وهو كثير في القرآن الكريم .^{٢٤}

فالتفنن عند الطاهر يتلخص في تغاير الأساليب ، والتنقل من فن إلى فن آخر في السياق ، والعلّة من ذلك تجديد نشاط السامعين ، ودفع السآمة عند الإكثار منه ؛ لأنّ من أغراض القرآن استكثار أزمان قراءته ، وتحبيب الإقبال عليه .

فكلّ انتقال في التعبير من فن إلى فن آخر من فنون الكلام ، أو من تعبير إلى آخر كالتعبير بالاسم مرة وبالفعل أخرى ، أو من اسم إلى اسم آخر هو تفنن عند الطاهر ، وهو من براعة التعبير القرآني ، وبلاغة نظم آياته وتناسق ألفاظه وتصاحب كلماته ، وهو ما ابتكره القرآن الكريم من الأساليب التي لم تكن عند بلغاء العرب ، والقرآن قد زين التعبير باستخدام الأساليب لدفع السآمة ، وتحبيب القراءة ، وتقريب الفهم ، مع الإعجاز في نظمه، وترتيب آياته ، فتفنن القرآن بكلّ هذا لعلّة استكثار أزمان قراءته ودوامها دون الملل والسأم وهذا الذي فهمه الطاهر فعبر في كثير من مواضع اختلاف الأساليب والالفاظ بالتفنن في التعبير عن المعاني .

المبحث الأول

التغاير بين الأسماء

أولاً : التغاير بين (الكسب _ الظلم)

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ

يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ فاطر: ٤٥ ، ويقول الله تعالى: ﴿

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ النحل: ٦١

قال الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) رحمه الله : ((وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾ إِلَّا أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ جَاءَ فِيهَا ﴿ بِمَا كَسَبُوا ﴾ وَهُنَالِكَ جَاءَ فِيهَا ﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾ النحل: ٦١ ، لِأَنَّ مَا كَسَبُوا يَعُمُّ الظُّلْمَ وَغَيْرَهُ ، وَأُوثِرَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ بِظُلْمِهِمْ لِأَنَّهَا جَاءَتْ عَقَبَ تَشْنِيعِ ظُلْمٍ عَظِيمٍ مِنْ ظُلْمِهِمْ وَهُوَ ظُلْمُ بَنَاتِهِمُ الْمُؤُودَاتِ وَهُوَ تَغْنَنٌ)) ٢٥ .

والآيتان متشابهتان في كثير من ألفاظهما ، وهو كثير في القرآن، ولكن لا يُظَنُّ أَنَّ هذا التشابه في اللفظ تشابه في المعنى فيدفعنا إلى القول بوقوع الترادف في القرآن، بل يجب العلم والجزم بأن لكل لفظ في القرآن دلالة التي يقتضيها السياق ، وينبؤ عن القيام مقامه لفظ آخر، لأنَّ اللفظ قُصِدَ في وضعه وموضعه في القرآن الكريم بما لا يدل على المعنى لفظ غيره .

وبعد استقراء مادة (كسب) في القرآن الكريم ، وجدتُ أَنَّ الكسب يقع على معنيين رئيسين في مختلف أحواله وتصريفاته ، ومن معانيه هي: الكسب المعنوي وفيه: كسب معنوي مذموم ، وكسب معنوي محمود ، وكسب حسي وفيه أيضاً مذموم ومحمود، وورد في بعض الآيات يُراد به عموم الكسب كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ لقمان: ٣٤ . ٢٦

والكسب يُقال فيما أخذته لنفسك ولغيرك؛ ولهذا قد يتعدى إلى مفعولين فيُقال : كسبتُ فلاناً كذا ، والاكتساب لا يُقال إلا فيما استفدته لنفسك، فكل اكتساب كسب وليس العكس ٢٧ ، أو هو بمعنى أصاب ، أو تصدق واجتهد ، وكسبه جمعه ، أو هو طلب الرزق ٢٨ .

وإذا كان من معانيه الجمع فالكسب في الآية يمكن أن يُقال عنه هو ما كسبه المرء من خير أو شر ، الذي في

هذه الآية ما كان كسباً مذموماً سيئاً ؛ لأنَّ السياق في ذم كسبهم ، ولو أخذهم الله بما كسبوا لم يكن لينترك عليها من أحدٍ .

أما الظلم فجاء في المعجم أنه يُعبر به عن الجهل والشرك والفسق، كما يُعبر بالنور عن أضدادها ، أو هو وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بزيادة أو نقص أو عدول عن وقته ومكانه ؛ ولهذا يُقال : ظلمتُ السقاء ، إذا تناولته في غير وقته ، ومنه ظلم الأرض ، أي: حفرها في غير موضع حفرها. ^{٢٩}

وقد يُخصص فيطلق على الذنوب خاصة، أو هو الحرام بعمومه ^{٣٠}، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ النحل: ٦١ ، فالظلم هنا بمعنى الكفر والشرك ، أي: ولو يؤاخذ الله الناس بكفرهم وشركهم ما ترك على الأرض منهم أحداً، ولكن يؤخرهم إلى وقت معلوم عنده سبحانه وتعالى، ومجيء الظلم بمعنى الشرك والكفر يناسب سياق الآيات ؛ لأنَّ السياق في ذكر مَنْ أَشْرَكَ وأسند البنات لله سبحانه وتعالى ، والإشراك بالله ، وادعاء أو اتخاذ الآلهة من دون الله هو الظلم بعينه، لذلك عبّر عن الشرك بالظلم هنا ؛ لأنَّ إشراكهم بالله تعالى هو ظلم عظيم ، لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَآرَهُيُونِ ﴾ النحل: ٥١ ، ثم قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ النحل: ٥٦ ، وقوله تعالى: ﴿ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾، يقصد به الأصنام التي اتخذوها آلهة ، إلى أن قال : ﴿ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ﴾ النحل: ٦١ ، أي: بشركهم وافترائهم وكفرهم ، ما ترك على الأرض منهم أحداً.

ومجيء الكسب في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ يحتمل معنى خصوص الكسب الحرام من الذنوب والمعاصي ، وعدم شكر الله ، وعدم تفكيرهم بما خلق الله ، وعدم تفكيرهم في خلق الله في أنفسهم، وغيرها .

كل هذا لم يكن ردعاً لهم عن كسب الذنوب وعصيان الخالق تعالى، فناسب معنى الخصوص في الكسب خصوص السياق في هذه السورة فقد عبّر فيها بالرحمة من قوله تعالى ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فاطر: ٢ ، والرحمة واحدة هنا ، وهذا مفاد من تنكير الرحمة . والله أعلم .

فعبّر القرآن الكريم في موضع الخصوص بالظلم لأنَّ الشرك ظلم لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنِئْ لَكَ شُرَكَاءَ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣ ، فقال تعالى ﴿ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ النحل: ٦١ ، والسياق في ظلم الناس أنفسهم بإشراكهم بالله تعالى ، أمّا في الآية الاخرى

فجاء في سياق أخف من سياق الظلم ؛ لأنه لم يذكر معهم الشرك بالله تعالى ، وهذا هو الذي ذكره الطاهر رحمه الله ، فقال تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ ففتنن القرآن في التعبير حسبما يقتضي السياق ويتلاءم مع المعاني ، والله أعلم .

ثانياً : التغير بين (أولي الألباب - العابدين)

يقول الله تعالى: ﴿ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ (٤٣) ص: ٤٣ ، وقال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِلْعَبِيدِ ﴾ (٨٤) الأنبياء: ٨٤ .

غاير الحق سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين في قوله تعالى: ﴿ مِنَّا وَذَكَرَى ﴾ ، في الأنبياء ، وقوله تعالى: ﴿ مَعَهُمْ رَحْمَةً ﴾ في سورة (ص) ^{٣١} ، وبين قوله تعالى: ﴿ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ لِلْعَبِيدِ ﴾ ، يقول الطاهر - رحمه الله - : ((وما بين الآيتين من تغيير يسير هو مجرد تفتن في التعبير لا يقتضي تفاوتاً في البلاغة ، وأما ما بينهما من مخالفة في قوله هنا ﴿ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ وقوله في سورة الأنبياء ﴿ وَذَكَرَى لِلْعَبِيدِ ﴾ ، فأما قوله هنا ﴿ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ فإن الذكر التذكير بما خفي أو بما يخفى ، وأولو الألباب هم أهل العقول ، أي تنكرة لأهل النظر والاستدلال ، فإن في قصة أيوب مجملها ومفصلها ما إذا سمعه العقلاء المعتبرون بالحوادث والقائسون على النظائر استدلوا على أن صبره قدوة لكل من هو في حرج أن ينتظر الفرج ، فلما كانت قصص الأنبياء في هذه السورة مسوقة للاعتبار بعواقب الصابرين وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون مأمورين بالاعتبار بها من قوله ﴿ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَذَكَرَ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص: ١٧ ، كما تقدم حَقَّ أن يشار إليهم بـ ﴿ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾)) ^{٣٢} .

فيغزو الطاهر الفرق في التعبير إلى أن تذييل الآية بـ ﴿ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ لأن الله تعالى أمر نبيه (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين من بعده أن يعتبروا بقصص الأنبياء ، ومنهم داود عليه السلام ، ولا معتبر إلا ذو عقل لذا ناسب أن يقول ﴿ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ .

واللُبُّ: خالص كل شيء وخياره، واللَّبابَةُ: مصدر اللَّيْبِ. وَقَدْ لَبِيتُ أَلْبًى، وَلَبِيتُ تَلْبًى، بِالْكَسْرِ، لُبًّا وَلَبًّا وَلَبَابَةً: صِرْتُ ذَا لُبٍّ، وَرَجُلٌ مَلْبُوبٌ: مَوْصُوفٌ بِاللَّبَابَةِ. وَلَيِّبٌ: عَاقِلٌ ذُو لُبٍّ ^{٣٣} .

وقيل : هو العقل الخالص من الشوائب ، وسُمي لكونه خالص ما في الإنسان ، وقيل : هو ما زكى من العقل ، فكل لبُّ عقل ، ولا العكس؛ لذا علق الله تعالى الأحكام التي لا تتركها إلاّ العقول الزكية بأولي الأبواب كقوله ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ إلى أن قال: ﴿أُولَئِكَ أَلْكَبَرِ﴾ البقرة: ٢٦٩، فخصّصها بأهل العقول الفطنة المتدبرة^{٣٤}، وقد يُراد به لزوم المكان والإقامة به أو لزوم الأمر^{٣٥}، وقد يكون هذا مأخوذاً من لزوم العقل للإنسان وهو لبُّه، وجعلوا منه قول طُفيل الغنوي:

رَدَدَنْ حُصَيْنًا مِنْ عَدِيٍّ وَرَهْطِهِ وَتَيَّمْتُ لَبِيَّ فِي الْعُرُوجِ وَتَحَلَّبْتُ^{٣٦}

أي: تيم تقيم فيها وتلازمها، فيكون معناه: أصحاب العقول المتفكرة العاقلة لما تقرأ وترى.

أما قوله (للعابدين) - فإنه جاء به شاهداً على أنّ النبوة لا تنافي البشرية وأنّ الأنبياء تعترتهم من الأحداث ما يعترى البشر ممّا لا ينقص منهم في نظر العقل والحكمة، وأنهم يقومون بأمر الله وأنهم مُعَرَّضُونَ لأذى الناس ممّا لا يخلُ بحرمتهم الحقيقية وأقصى ذلك الموت ، وَذَكَرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ مَنْ أَبْطَلِي بِأَذَى مِنْ قَوْمِهِ فَصَبِرَ ، وكيف كانت عاقبة صبرهم واحدة مع اختلاف الأسباب فكانت في تلك آيات للعابدين ، أي: الممّثلين أمر الله المجتبيين نهيه ، فختم بقوله ﴿وَذَكَرَ لِلْعَبِيدِينَ﴾ .^{٣٧}

والعبد والعابد: الخاضع لربه المنقاد لأمره المستسلم، والمُتَعَبِد: المنفرد بالعبادة، والمُعَبَّد: المُكْرَم، المُعْظَم، ومنه قوله: (اعبدوا ربكم) أي: أطيعوا ربكم .^{٣٨}

فعندما كان السياق في سورة الأنبياء سياق أمر للنبي (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين ، وإنّ العابد مَنْ يتمثل بأمر الله تعالى واجتتاب نهيه وإنّ النبوة لا تنافي البشرية ؛ إذ يبقى النبي بشراً ، لكنه مخصوص بالنبوة والعصمة ، لكنه كحاله وغيره من البشر تعتريه ما يعترى البشر من الحزن والفرح والغضب والصفح وغيره ، فناسب أن يأتي بذكر العابدين ويختتم به ، ولعلّ فيه إشارة إلى أنّ العابد تتمثل عبادته بجسده من صيام أو صلاة أو غيرها، فإذا أصيب بدنٌ من كانت همته ضعيفة بشيء هبطت عن العبادة ، فضرب الله لهم مثلاً قصة سيدنا أيوب عليه السلام ، وما أصابه من البلاء في بدنه ولم يُثْبِتْهُ عن عبادته، ولم يغفل عن ربّه ، فكانت قصته تذكرة وموعظة لغيره من العابدين .

وقد أبدع القرآن وتفنن في الانتقال والتغاير بين الألفاظ في ذكر القصة الواحدة بما يقتضيه السياق والمعنى ، والمصاحبة اللغوية، فحين قال ﴿ وَذَكَرَى لِلْعَمِيدِينَ ﴾ ناسب سياق الآيات المتحدثة في بدئها عن العبادة لله وحده لا شريك له، فذكر قصة سيدنا إبراهيم مع قومه وعبادتهم أصنامهم من دون الله فقال الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ٥١ ﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ٥٢ ﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ الأنبياء: ٥١ - ٥٣ ، وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ ، وقال: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٦ ، فالسياق في أمر العبادة لله وحده فناسب أن يأتي ذكر (العابدين) هنا لما تقدمه من ذكر العبادة والعباد .

وهو تفنن في التعبير كما يقول الطاهر ، لكنه اقتضى تفاوتاً في البلاغة ، إذ التعبير بـ ﴿ وَذَكَرَى لِلْعَمِيدِينَ ﴾ ناسب السياق الوارد فيه ذكر العباد ، ولا كما قال الطاهر أنه لا تفاوت في البلاغة بينهما .

أما قوله تعالى: ﴿ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ، فناسب سياقه أيما مناسبة فقد كان السياق في تثبيت النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد أن كذبه الكافرون فقالوا: ﴿ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ٤ ﴾ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥ ﴾ ص: ٤ - ٥ ، فنثبه الله تعالى وأمره بالصبر ، فقال تعالى: ﴿ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ ص: ١٧ ؛ لَأَنَّ هَؤُلَاءِ ﴿ فِي سَكِّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾ ص: ٨ ، أي: هم الآن في شك من هذا الدين ، ولكنهم سيتأكدون أنه الدين الحق وأن الله هو الإله الحق عندما يذوقون عذابه ، وخاطبه بالصبر كما صبر الذين من قبله من الأنبياء ومنهم أيوب عليه السلام ، فقد بلغ به المرض حتى تركه أهله إلا امرأته ، وبعد أن برئ وشفى عوضه الله تعالى أهله ومثلهم معهم رحمة من الله تعالى .

فهو تثبيت من الله لنبيه أن يذكره بحال أخيه أيوب، وهي ذكرى لأولي العقول ، فناسب ذكر (أولي الأبواب) ؛ إذ الحديث للتذكرة لأولي العقول ، وذكر الله تعالى أنبياءه وما أبتلوا به فصبروا وهم أمثلة لمن أراد التفكر والتدبر وناسب ما بعده من قوله تعالى: ﴿ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ٤٥ ﴾ ص: ٤٥ ، والله أعلم .

ثالثاً : التغير بين (تجريان ونضاختان)

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَإِيَّاءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ ﴾ الرحمن: ٤٦ - ٥١ ، وقال تبارك وتعالى ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ... فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَإِيَّاءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ ﴾ الرحمن: ٦٢ - ٦٧ .

يقول الطاهر - رحمه الله - ((و (نضاختان) : فوارتان بالماء ، والنضخ بخاء معجمة في آخره أقوى من النضج بالحاء المهملة الذي هو الرّش ، وقد وصف العينان هنا بغير ما وصف به العينان في الجنتين المذكورتين ، فقيل : هما صنفان مختلفان في أوصاف الحسن يُشير اختلافهما إلى أنّ هاتين الجنتين دون الأولين في المحاسن ولذلك جاء هنا ﴿ فِيهِمَا فَكِهِةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ﴾ الرحمن: ٦٨ ، وجاء فيما تقدم ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ الرحمن: ٥٢ ، وقيل : الوصفان سواء ، وعليه فالمخالفة بين الأوصاف تقتضي ((٣٩ .

والنضخ - بالحاء - أقوى من النضج ، إذ جعلوا الخاء للقوي والكثير ، وهذا مذهب ابن جني (ت: ٣٩٥هـ) وجعله باباً عظيماً واسعاً ، ونهجاً مُتَلَبِّئاً، سماه مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث ، فقال: ومن ذلك قولهم : النضخ للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضج، قال الله سبحانه ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴾ فجعلوا الحاء - لرققتها - للماء الضعيف والحاء - لغلظها - لما هو أقوى منه، ومن ذلك الخضم والقضم^{٤١} ، وعين نضّاحة ، كثيرة الماء ، قال أبو عبيدة في قوله تعالى (نضاختان) أي: فوارتان^{٤٢} ، وهو من باب : ضَرَبَ^{٤٣} .

و((نَضَّخَهُ، كَمَنَعَهُ: رَشَّهُ، أَوْ كَنَضَّخَهُ، أَوْ دُونَهُ، وَالْمَاءُ: اشْتَدَّ قَوْرَانُهُ مِنْ يَنْبُوعِهِ، أَوْ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ سُفْلِ إِلَى عُلُوٍّ ، وَالنَّبْلُ فِي الْعَدُوِّ : فَرَّقَهَا ، وَالنَّضْخُ : الْأَثَرُ يَبْقَى فِي الثَّوْبِ وَغَيْرِهِ مِنَ الطَّيِّبِ، وَالنَّضَّاحُ، كَكَتَّانٍ: الْعَزِيزُ مِنَ الْغَيْثِ، وَالنَّضْخَةُ: الْمَطْرَةُ، وَالنِّضَاحُ: الْمُنَاضَحَةُ، وَانْتَضَخَ الْمَاءُ: تَرَشَّشَ))^{٤٤} .

وَالْجَرِيُّ: الْمَرُّ السَّرِيعُ، وَأَصْلُهُ كَمَرِ الْمَاءِ، وَلَمَّا يَجْرِي بِجَرِيهِ. يُقَالُ: جَرَى يَجْرِي جَرِيَةً وَجَرِيَانًا. قَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَفْلاَئِبُصُرُونَ ﴾ الزخرف: ٥١ ، وقال: ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ طه: ٧٦ ، ويقال للحوصلة: جَرِيَّةٌ ، إمّا لانتهاء الطعام إليها في جريه، أو لأنها مجرى الطعام^{٤٥} ، وجرى الماء:

سال الماء، خلاف وقف وسكن، والماء الجاري هو المتدافع في انحدار واستواء ، وجريت الى كذا: قصدت وأسرعت^{٤٥}، وقيل في الجارية : الشمس والسفينة والنعمة من الله^{٤٦} .

وهذا إبداع في القرآن الكريم فقد غاير الحق بين قوله (تجريان) في الجنان الأولى، و(نضاختان) في الجنان الثانية ،فقال في وصف الأولى : لِمَنْ خاف الله له جنتان ، ولم يقل الحق في الثانية ذلك، بل قال من دونهما، والأولى أفنانها متدلّية ، فلا تعب لأصحابها إن أرادوها، بل أغصانها نازلة متدلّية، وقال في الثانية (مدهامتان) أي: سوداوات لشدة خضرتهما ، وطبيعة الماء في الأولى الجري ، والجري كما عرفناه ، السير المريح أو السريع للماء مع سيلانه و استوائه، على عكس النضخ الذي يكون بانفجار الماء واشتداده ، وما كان من أسفل لأعلى، والهدوء والراحة هي من صفات الجنة فليس فيها لغو ولا تأثيم ﴿ إِلَّا قِيَالًا سَلَامًا ﴾^(٦٦) الواقعة: ٢٦، ومن المعلوم ما في صوت الخاء من الجهر والشدة وبعد مخرجه في الحلق^{٤٧} ، وكيف أن العرب فرّقوا بين النضخ وبين النضح^{٤٨}، وجاء العموم في الأولى ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ الرحمن: ٥٢ ، من غير تخصيص والثانية جاء التخصيص فيها بعد العموم ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ الرحمن: ٦٨، وعبر عن الاضطجاع في الأولى على ﴿ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ الرحمن: ٥٤، وهم عليها جلوس كجلوس الملوك على الأسرة الفاخرة، جلوس راحة واستقرار ، وتلك الفرش لا يعلم وصفها إلا الله تعالى ، حتّى إنّ بطائنهما التي تلي الأرض منها من استبرق ، وهو أجود أنواع الحرير وأفخره ، فكيف بظواهرها التي تلي بشرتهم؟!^{٤٩} ، وفي الثانية ﴿ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ الرحمن: ٧٦ ، وقيل الاستبرق ديباج ثخين ، وهو باطنها ، وقيل ظاهرها من السندس، وقيل من النور^{٥٠} .

وممّن النظر يرى الفرق في الأوصاف، فقد وصف الأولى بثمان صفات ، في حين كان الثانية بسبع صفات، وهذا لا يُقصد منه التقليل من منزلتها، بل على العكس، بل هو دفع لقارئ القرآن بأن يتدبر كيف أنّ الله تعالى جاء بلفظ اليسير مع الأكثر تنعماً بالجنة وأعلاها منزلة ، وهو تفنن في وصف كلّ جنة بما يتناسق مع صفاتها، فالأيسر مع الأعلى والأرفع والأشدّ مع الاخرى ، والله أعلم .

المبحث الثاني

التغاير بين الأفعال

لا يقتصر بدیع القرآن وتفننه مع توافقه في المعنى على التغاير بين الأسماء فحسب، بل يُعَبِّرُ الباري عز وجل بفعل في آية في سياق يستدعيه المعنى ، ويغايير إلى فعل آخر يستدعيه سياق آخر فيبدو للقارئ في الوهلة الأولى أَنَّ المخالفة لأجل دفع السامة وعدم تكرار الألفاظ نفسها كما نظر إليه ابن عاشور - رحمه الله تعالى - فذهب به إلى التفنن ، ولكن بعد التأمل في القرآن نجد أن ليس في القرآن لفظ بل حرف إلا في موضعه الذي يقتضيه معناه وسياقه ، ولا يقوم مقامه لفظ آخر في التعبير عن المعنى ، ومن هذا ما سيأتي ذكره .

أولاً : التغاير بين (ادخلوا - واسكنوا)

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف: ١٦١ - ١٦٢ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ٥٨ .

يقول ابن عاشور - رحمه الله - ((هذه الآية أيضاً نظير ما في سورة البقرة إلا أنه عبّر في هذه الآية بقوله : (اسكنوا) وفي سورة البقرة بقوله : (ادخلوا) ؛ لأن القولين قила لهم ، أي قيل لهم : ادخلوا واسكنوها ففُرق ذلك على القصتين على عادة القرآن في تغيير أسلوب القصص استجداداً لنشاط السامع)) ٥١ .

إنّ التغاير الذي جاء به القرآن الكريم بين الفعلين (ادخلوا - واسكنوا) لم يكن تفنناً فقط ، ولم يكن لتجديد نشاط السامعين بعيداً عن المعنى والسياق ، بل السياق يتطلبه ، ولا يمكن وضع الدخول مكان السكن ليدلان على معنى واحد .

يقول الدكتور فاضل السامرائي: ((وقال في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ البقرة: ٥٨ ، أي: إنّ الأكل يكون عَقَبَ الدخول ؛ لأنّ الفاء تفيد التعقيب ، أي : بمجرد دخولكم تأكلون تَوّاً ، وأمّا في سورة

الأعراف فقال : ﴿ اَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ فالأكل لا يكون إلا بعد السكن والاستقرار وليس بعد الدخول))^{٥٢}

وابتدأه في سورة البقرة بقوله ﴿ ادْخُلُوا ﴾ البقرة: ٥٨ , وفي الأعراف ﴿ اَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ أن سورة البقرة لما كانت في سياق تعداد النعم لآدم أن يأتي بالدخول لتكون تلك الدار سكناً لهم والاستقرار فيها، لذا جاء التعقيب بالفاء ؛ ليكون الدخول أولاً والأكل بعده ، وأكد الدخول مرة أخرى فقال ﴿ وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً ﴾ ليلائم الدخول الأول إلى المدينة .

أما عند النظر في كشف الزمخشري فنراه لا يفرق بين الأقوال في التعبير ، فسواء أكان التعبير بـ(ادخلوا) أم بـ(اسكنوا) فلا فرق عنده إذا لم يكن بين التعبيرين تناقض ، ولا تناقض بين التعبيرين .^{٥٣}

ولأن الله تعالى أعلم بما هو أصلح لهم أمرهم بالسكن لأن تلك الدار خير لهم من غيرها ، فكان الأمر بالسكن لا أن يدخلوا فقط ، ثم انظر إلى عجيب نظم القرآن وموافقته لمعانيه ، فمن المعلوم أن الدخول يكون أولاً ثم يكون السكن ، أي: لا بد أن تدخل ليحصل السكن ، إذن فالدخول أولاً، ولما كانت سورة البقرة : أولاً في ترتيب السور في المصحف الشريف لآدم أن يذكر الفعل الأول وهو الدخول ولآدم أن يذكر الفعل الثاني، وهو السكن مع الأعراف الثانية في الترتيب في المصحف .

فليس التعبير باختلاف الأفعال لمجرد التفنن ، بل إن التعبير بهما في كل سورة أدق في توضيح المعنى، فحصل تفنن لفظي في التعبير موافق للمعاني وترتيب السور ، والله أعلم .

ثانياً : التغاير بين (يفسقون - ويظلمون)

ومن التغاير بين الأفعال التعبير بفعل (يفسقون) في البقرة وبـ(يظلمون) في الأعراف في قوله تعالى ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ البقرة: ٥٩ , وقوله ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ الأعراف: ١٦٢ , وما أدق التعبير وأحسنه ، والتغاير بينهما تبعاً لتغاير المعنى .

يقول ابن عاشور: ((وعبر هنا ((بما كانوا يظلمون)) وفي البقرة ((بما كانوا يفسقون))؛ لأنه لما اقتضى الحال في القصتين تأكيد وصفهم بالظلم وأؤدي ذلك في البقرة بقوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ البقرة: ٥٩ ، استُثْقِلَتْ إعادة لفظ الظلم هنالك الثالثة ، فعُدِّلَ عنه إلى ما يفيد مفاده ، وهو الفسق ، وهو أيضاً أعمُّ ، فهو أنسب بتذييل التوبيخ ، وجيء هنا بلفظ (يظلمون) لئلا يفوت تسجيل الظلم عليهم مرة الثالثة ، فكان تذييل آية البقرة أنسب بالتغليط في ذمهم ، لأنَّ مقام التوبيخ يقتضيه)) .^{٥٤}

والحقُّ أنَّ ما ذهب اليه ابن عاشور - رحمه الله - يكفي في تبيان سبب التغيير، وفضلاً عن ذلك - والله أعلم- أنَّ بني إسرائيل لما خرجوا عن أمر الله ، ولعدم استجابتهم لأمره بالدخول إلى القرية ، والدخول أول الأمر، ثم السجود وقولهم حِطَّةَ كَانَتْ هذه معصية في تلك اللحظة ، ولما كان من معاني الفسق الخروج الأول ، لذلك يقال : فسق الرطب : إذا خرج عن قشره ، وهو أعمُّ من الكفر^{٥٥} ، كَانَ ملائماً أن يأتي بالفسق في هذه الآية - والله أعلم - ثم إذا ذهبنا إلى أنَّ آية البقرة في بداية سور القرآن وأسبق من الأعراف ناسب أن يأتي بما هو أسبق ، والفسق بمعنى أول الشيء أسبق ، فَنَاسَبَ أن يأتي بالفسق في البقرة ، كَانَ هذا وجهاً آخر.

أمَّا قولهم : حبة حنطة ، وهو استهانة بأمر الله تعالى وغيرها من الأقوال حتَّى تحول الفسق إلى ظلم^{٥٦} ، لآدم أن يأتي في سورة الأعراف ، فضلاً عما قلنا فإنَّ سياق آيات الأعراف جاء بذكر الظلم كثيراً كقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الأعراف: ١٦٠ ، وقوله ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ الأعراف: ١٦٢ ، فناسب أن يصاحب اللفظ مصاحبه في سياق واحد، وهذا ما دَعَا إليه أبو هلال العسكري فقال : ((وحسن الرصف أن تُوضَعَ الألفاظُ في مواضعها ، وتمكَّن في أماكنها ، وتضمَّ كل لفظةٍ إلى شكلها ، وتُضاف إلى لفقها))^{٥٧} حتى عُدَّتْ هذه النظرية من أدقِّ النظريات وأحسنها في علم البلاغة والتعبير ، فسميت بنظرية الرصف ، فكان من حسن مجيء (يظلمون) في الأعراف هو ما سماه البلاغيون بنظرية الرصف، فُرِصَتْ هذه اللفظة إلى شكلها ولفقها، والله أعلم .^{٥٨}

فالتعبير بالفسق والظلم في البقرة والأعراف لأجل تأكيد وصفهم به ، ولئلا يفوت تسجيل الظلم عليهم ، ولأجل تناسب تذييل التوبيخ ، مع حسن الرصف وموافقة الأول للأول ، كلُّ هذا تفنن بديع في نظم القرآن والتعبير عن المعاني بأدق الألفاظ وأحسنها ، والله اعلم .

ثالثاً : التباير بين (أسلك _ و احمِل)

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ۚ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٦ - ٢٧ .

وقال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ ﴾

وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ هود: ٤٠ .

غاير الحق بين فعل (اسلك) في المؤمنين وبين (احمِل) في هود ، وأوعز الطاهر - رحمه الله - هذا التباير إلى التفنن اللفظي القرآني ، فقال: ((وإنما عبّر هنالك بقوله: ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا ﴾ هود : ٤٠ ، وهنا بقوله ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا ﴾ المؤمنون: ٢٦ - ٢٧ ؛ لأنَّ آية سورة هود حكّت ما خاطبه الله به عند حدوث الطوفان وذلك وقت ضيقٍ فأمّر بأن يحمل في السفينة من أراد الله إبقاءهم ، فأسند الحمل إلى نوح تمثيلاً للإسراع بإركاب ما عيّن له في السفينة حتّى كأنّ حاله في إدخاله إيّاهم حالٌ من يحمل شيئاً ليضعه في موضع ، وآية هذه السورة حكّت ما خاطبه الله به من قبل حدوث الطوفان إنباء بما يفعله عند حدوث الطوفان فأمره بأنّه حينئذ يدخل في السفينة من عيّن الله إدخالهم ، مع ما في ذلك من التفنن في حكاية القصة .

ومعنى (اسلك) أدخل، وفعل (سلك) يكون قاصراً بمعنى دخل ومتعدياً بمعنى أدخل ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ المدثر: ٤٢ ، وقول الأعشى: (كما سلك السكّي في الباب فيتنقّ ٥٩) ((٦٠ .

ولو تأملت في سورة المؤمنين رأيت عجيب صنع القرآن في نظم العبارات ، فقد أكّد الحق تبارك وتعالى بداية السورة بـ(قد)، وإن كان كلامه جلّ في علاه لا يحتاج الى تأكيد في إيضاح صفات المؤمنين ، ثم بيّن

كيفية خلق الإنسان ، وبعبارة واحدة انتقل الخطاب من الخلق إلى الآخرة ثم إلى خلق السماء والجنان ثم إلى خلق الحيوان الذي يحمل الإنسان ليكون مدخلاً عجبياً وربطاً رهيباً، فقد ربط بين حمل الحيوان للإنسان والفلك ليكون نقلاً إلى قصة نوح - عليه السلام - وسفينته المنجية بإذن الله لمن دَخَلَ فِيهَا.

ومعنى سلك ،النفاز في الطريق ، يُقال سلكْتُ الطريق، وسلكْتُ كذا في طريقه قال تعالى: ﴿لَسَلَكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ نوح: ٢٠، وقال: ﴿فَأَسْأَلُكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا﴾ النحل: ٦٩ ، وقوله تعالى: ﴿فَأَسْأَلُكَ فِيهَا﴾ المؤمنون: ٢٧، أي: فقلوله سلك أي نفذ في الطريق ^{٦١} .

والحمل: يُقال: أحمله ، أعانه على الحمل ، واستحمله ، سألته أن يحمله ، وحمله الرسالة تحميلاً ، كلفه حملها ، وتحامل على نفسه تكلف الشيء على مشقة ^{٦٢} .

والسلك يكون إدخال وغير إدخال ، فنقول : سلكْتُ الطريق والمكان أي: سرتُ فيه، وسلكْتُ الخيط في المخيط ، أي: أدخلته فيه ^{٦٣} ،

فالإدخال أخصُّ، والسلك يكون سهلاً ميسوراً، قال تعالى: ﴿فَأَسْأَلُكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا﴾ ، و(ذُلًّا) يدل على سهولته ويسره ، ومنهم من جعله بمعنى الجعل ، فقال: قوله: ﴿فَأَسْأَلُكَ فِيهَا﴾، أي: اجعل معك في السفينة من كل زوجين اثنين . ^{٦٤}

والتعبير بالحمل أصلح في سورة هود عليه السلام - وكأنَّ في لفظ (الحمل) مشقة وثقلاً مع لحظة حدوث الطوفان غير ما في لفظ اسلك من دلالة السهولة وهي ما أوحى الله تعالى إليه قبل حدوث الطوفان ، بل إنَّه كان إرشاداً لما سيؤول إليه عند الطوفان ، فناسب الأمر الشديد لفظ (احمل) والأمر اليسير لفظ (اسلك) . ^{٦٥}

وهذا وجه حسن ، فضلاً عن ذلك أنك إذا قرأت آيات سورة هود وجدت نفسك مشدوداً؛ لأنَّ السياق في ذكر أهل السوء الذين كذبوا الرسل واستعلوا على أمر الله تعالى من ذلك قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَلَيْنَ آخَرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ هود: ٨، وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿ ١٦ ﴾ هود: ١٦ ، وقوله: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ هود: ١٧ ، فترى السياق شاق وفيه من التهديد ما يناسبه لفظ المشقة وهو (الحمل) .

وعلى عكسه جاءت آيات سورة المؤمنين فيها من التبشير والرفق واللين والوعد بالثواب ، فناسب مجيء اللفظ اللين اليسير وهو (اسلك) مع ما تتمتع به حروف هذا اللفظ من الصفير في السين وهمسه ، وما في اللام من اللين ^{٦٧} ، فناسب كل لفظ سياقه ، والله أعلم .

رابعاً : التغيرات بين (انصرني و نجني)

يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ طَإِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتَاتُونَ آلَافَ حِشَّةٍ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ ٢٨ ﴾ أَيُّكُمْ لَأَنَّتُوكَ الرِّجَالُ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُوكَ فِي تَارِيكِكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا

يُعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ ٢٩ ﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿ ٣٠ ﴾ العنكبوت: ٢٨ - ٣٠ .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَبْتَ قَوْمٌ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ ١٦٠ ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿ ١٦١ ﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿ ١٦٢ ﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿ ١٦٣ ﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ١٦٤ ﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿ ١٦٥ ﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿ ١٦٦ ﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿ ١٦٧ ﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿ ١٦٨ ﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿ ١٦٩ ﴾ فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿ ١٧٠ ﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَائِرِينَ ﴿ ١٧١ ﴾ الشعراء: ١٦٠ - ١٧١ .

وما بين سورة العنكبوت وبين الشعراء تغيرات في الأفعال، يقول الطاهر عنه: ((وما بين الآيات من تفاوت هو تفنن في حكاية القصة)) ^{٦٨} ، فقد قال هنا (انصرني) ، وقال في الشعراء (نجني) وما بين اللفظتين تفاوت يقتضيه السياق في كل مرة ترد فيه القصة .

والتَّصَرُّ والنُّصْرَةُ العون ، قال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ النصر: ١ ، وقال ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصف: ١٣ ، والانتصار والاستنصار: طلب النصر، قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ الشورى: ٣٩ .^{٦٩}

وفي قصة لوط - عليه السلام - في سورة العنكبوت يبتدئ قومه متبجحين بالرديلة واستعلانها، وسفورها بلا حياء ولا تحرج، وانحدار البشرية إلى الدرك الأسفل من الانحراف والشذوذ مع الاستهتار بالندير فلم يكن جواب هؤلاء القوم لرسولهم إلا أن قالوا ﴿ أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ العنكبوت: ٢٩ ، وهذا تبجح في وجه النذير ، وتحدي مصحوب بتكذيب، وقد أعذر إليهم رسولهم فلم يبق إلا أن يتوجه إلى ربه طالبا نصره ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ العنكبوت: ٣٠^{٧٠} ، ومن طلب النصر من الرسل عليهم السلام جاءه ، فجاء نصر الله للوط عليه السلام لقوله تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ غافر: ٥١ .

فجاء السياق هنا بالتحدي لقولهم ﴿ أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، فصاروا معه على طرفي نقيض ، جانب الخير والإيمان متمثلاً بسيدنا لوط، عليه السلام ، وجانب اللواط والفحش وهم قومه ، فإذا هو يستغيث الله ويطلب النصر والتمكين ، فقال الحق: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي ﴾ ، فناسب مجيء النصر في سياق التحدي ، ومما يساند المعنى هذا أنه قال في الآية قبلها: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ الشعراء: ١٦٨ ، أي: المبغضين له، الناهين عنه ، المحذرين^{٧١} ، فقد أبغضهم لفعلتهم التي لم يسبقوا إليها . فأعانه الله تعالى عليهم فانتصر منهم ، فناسب فعل النصر هنا ؛ لأنَّ السياق سياق تحدي وانتصار .

أما النجاة فهي من النجو، وأصله الانفصال من الشيء ، ومنه : نجا فلان من فلان وأنجيته ونجيتته ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ ﴾ النمل: ٥٣ ، وقوله ﴿ ثُمَّ نَجَّيْ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: ١٠٣^{٧٢} ، أو هو الخلوص ، ومنه نجاه الله وأنجاه^{٧٣} ، وهو قريب من معنى الحفظ الذي هو صرف المكاره عن الشيء .^{٧٤}

وفي سياق آية الشعراء ترى أنَّ الله تعالى ذكر النعم والتذكير بآياته فقال ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ الشعراء: ٤ ، وقال بعدها ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ ٥ فقد كَذَّبُوا فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ الشعراء: ٥ - ٦ .

ولأنَّ دأب قوم لوط الفحش والفجور وتكذيب الرسل ، طلب النجاة ممَّا يفعلون فقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ الشعراء: ١٦٩ ، فقد أراد النجاة من الفواحش والخبث ، فجاء جواب الله سريعاً من التعبير بفاء التعقيب فقال ﴿فَنَجِّنَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ٧٠ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿٧١﴾ الشعراء: ١٧٠ - ١٧ ؛ فجاء السياق بلفظ (نجني) ؛ لأنه أراد النجاة ممَّا عملوا ، أي خلاصه منهم ، والانفصال عمَّا هم عليه من الفحش واللواط ، وليس سياق استتصار كما في العنكبوت .

وسياق سورة الشعراء من بدئها هي في عدم تكلف النفس في إصلاح من لم يُردِّ إصلاح نفسه وإيمانها ، لأنَّ الله تعالى إذا أراد هداية قوم نزلَّ عليهم آيةً فظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ، لهذا قال ﴿طَسَّرَ﴾ ١ تَلَكَّ أَيْدَتْ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ الشعراء: ١ - ٦ ، فلم يكن سياق تحدٍ كما في العنكبوت ، لذلك ناسب معه فعل النجاة ؛ لأنَّ قومه في حالة فحش ورديلة ، فأراد أن يفصل ويخلص منهم وممَّا هم عليه منها ، فجاء التعبير بفعل النجاة .

فضلاً عن ذلك أنَّ الآية سُبِقَتْ بالنص في قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ العنكبوت: ٢٢ ، فالسياق تكرر فيه النصر ، فناسب أن يُعاد هنا .

وقد تكرر سياق النجاة في قصة أخرى ، وهي دليل آخر على ما ذهبنا ، فقد ذكر الله تعالى قصة سيدنا نوح عليه السلام وحاله عند حدوث الطوفان ، فجاء التعبير بـ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ في قوله تعالى ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ العنكبوت: ١٥ ، إذ السياق لم يكن فيه تحدٍ ، وإنما زمن التحدي انتهى وجاء وقت إنزال العقوبة ، فهنا يحدث الافتراق والخلاص من القوم المفسدين فجاء بلفظ النجاة ، وهو سياق خلاص وافتراق بينه وبين من لم يؤمن ، فعبر بفعل النجاة لمناسبتها السياق هنا ، في حين أنَّ سورة العنكبوت سياقها في التحدي ، ولكن في قصة نوح عليه السلام ناسب فعل النجاة لأنَّ هذا المقطع منه وهذه القصة يناسبها النجاة لأنها ليست في التحدي والنصر .

فتفنن القرآن في التعبير في كلّ قصة بما يناسبها من الأفعال, فلمّا كان السياق في التحدي والنصر ناسبه التعبير بفعل (انصرني), ولمّا كان في الافتراق والخلاص ناسب فعل (نجني), وهو تفنن بديع في حكاية القصة.

الخاتمة

١- ما يتصل بشخصية الطاهر رحمه الله ونشأته, فهو إذ كانت نشأته في بيئة علمية وسياسية ودينية ذات مناصب عديدة جعلت منه رمزاً على جميع تلك الأصعدة , فهو على صعيد الدين إمام عصره , ومفتي الديار التونسية , وهو على صعيد السياسة قاضياً وحاكماً ورئيساً لكثير من نهضات الاستقلال العربية, وتقلده لمناصب عديدة أضافت له , وإن كان هو من أضاف لها , القوة في قول الحق والدفاع عن الدين والسيادة , أمّا على مستوى العلم فإنّ عقلية الطاهر وما تميزت به من حنكة وعلم كانت نتاج نشأته في بيئة خصبة بالعلوم والعلماء , ولا غرو أنّه وليد أسرة تفخر بكثرة العلماء والمناصب , فكانت لهذه البيئة أثر في تربيته تربية علمية يغرف العقل فيها من مختلف صنوف العلم والمعرفة , لذلك فقد برع الطاهر في كثير من العلوم, وما مؤلفاته على اختلاف أنواعها إلّا دليلاً على ما نقول, إذ له في كلّ زاوية يد في التأليف , وكيف لا وهو الطاهر ابن الطاهر .

٢- تقديم التفسير بمقدمات عشر هو أسلوب جديد لافتتاح المصنفات , إذ لم يسبق لمثله أحد, وهي وإن كانت من الممكن فصلها في مصنف مستقل إلّا إنها تزيد العقل نوراً وعلماً قبل الغوص في صفحات هذا البحر العظيم .

٣- إنّ إعجاز القرآن عنده في وجوه ثلاث هي : بلوغ الغاية القصوى في مراتب الكلام , وابداع القرآن في فنون التصرف في الكلام , (نرى أنّه من الممكن أن يدمج هذا الوجه في سابقه , وتكون الغاية واحدة هي : بلوغ الغاية القصوى في مراتب الكلام مع فنون التصرف فيه , طالما كانتا متصلتين بالكلام وفنونه , وثالث الوجوه ما أودعه من المعاني الحكيمة والاشارات الى الحقائق العلمية والعقلية ممّا لا تصل إليها عقول البشر , وهذه الوجوه هي محط أنظار الكثير من أهل اللغة على اختلاف آرائهم فيها , فهو من أنصار اللفظ والعلمية في إعجاز القرآن الكريم , وهو بهذا يخالف الكثيرين ممّن ذهبوا إلى غيرها من الوجوه .

٤- أمّا ما يتصلُ بنظرية التّفن فإنّ ما ذهب له الطاهر من التّفن في التعبير القرآني هو ما كان ذا صلةٍ بالتّفن اللفظي السياقي فقط ، لكن لا يُفهم منه أنّه نفس المعنى أو لم يعطه بالأول، ولكن أغلب مواضع التعليل بالتّفن يذهب بها إلى التّفن السياقي اللفظي ويترك المعنى ، أو يبرع في التعليل اللفظي المعنوي لكنّه يُثني على اللفظ وعلى التّفن البديع، وفي مقابل ذلك كان ينظر للمعنى كأنّه عمود تبنّى الآيات عليه إلى جانب اللفظ ، فهو على اتجاهات مختلفة: فإمّا أن يتحرى التّفن اللفظي فحسب ، أو يُثني على اللفظ والمعنى ، أو يكون على المعنى معتمدًا كليًا بحيث لا حظّ للفظ مطلقاً .

٥- إنّ اسناد الفصاحة والبلاغة والبيان القرآني إلى اللفظ أمرٌ فيه نظر ، أمّا اسناد الأمر إلى كليهما فهو ما تكتنفه البلاغة والبيان ، وهو الذي يجب أن يُعول عليه في تبيان بلاغة القرآن ووجوه البيان ، سيما أنّه

چ ڈ گ س ن ٹ چ فصلت: ٤٢ .

٦- إنّ ظاهرة التّفن أصيلة عريقة ، تزخر بها المؤلفات العربية ، قديمًا أكثر منها في الحديث ، لا سيما أن العرب أهل فصاحة وبيان ، وإن كانت قريبة من أن تظهر كنظرية قائمة ، وإنّما بدت خلال أثناء مؤلفاتهم وطرائق أبحاثهم وتعبيراتهم ، فوضع اللفظ على حسب المعاني مصاحبًا لما كان على لفظه من مثاني الألفاظ هو بحدّ ذاته على طرائق التّفن البديع ، وإنّما لم يفقه وجوه بداعته إلّا من أتى حظًا وافرًا من الفهم والإحاطة ، فهي طريقة عربية أصيلة تستحق أن تُقرّد بتصنيف مستقل له شواهد ومجالاته الابداعية ، وصوره البيانية ، ومن الله التوفيق .

- ^١ يُنظر : شيخ الاسلام الاكبر محمد الطاهر بن عاشور ، تأليف الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة ، ط ١ / ٢٠٠٨ م ، الدار العربية للكتاب ، تونس : ٢٠ ، وشيخ الجامع الاعظم محمد الطاهر بن عاشور - حياته واثاره - د . بلقاسم الغالي ط ١ / ١٩٩٦ م ، دار ابن حزم ، بيروت : ٣٧ .
- ^٢ كان له الاثر البالغ في نشأة الامام الطاهر ، يُنظر ترجمته بالتفصيل : شيخ الجامع الاعظم محمد الطاهر بن عاشور : ٣٧ .
- ^٣ يُنظر : اعجاز القرآن الكريم عند الامام بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ، تأليف محمود بن علي بن احمد البُعداني ، ط ١ / ١٤٣٥ هـ ، جامعة الملك سعود ، كلية التربية ، قسم الثقافة الاسلامية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض : ٣٢ ، واثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الامام الطاهر بن عاشور في كتابه (التحرير والتنوير) اطروحة، مشرف بن احمد جمعان الزهراني ، جامعة ام القرى ، كلية الدعوة واصول الدين ، قسم الكتاب والسنة ، المملكة السعودية ، ١٤٢٧ هـ : ١٩ .
- ^٤ يُنظر : كشف المغطى : ١٠ ، الطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية : ١١ .
- ^٥ يُنظر : التعليم في جامع الزيتونة خلال النصف الاول من القرن العشرين ، دراسة في المنهج والبرنامج ، د . محمد بو طيبي ، جامعة يحيى فارس - المديّة ، المجلة المغاربية للمخطوطات ، العدد ٥ - ٢٠١٧ م : ٥ .
- ^٦ يُنظر : مقاصد الشريعة الاسلامية للطاهر بن عاشور ، تحقيق محمد الطاهر الميساوي ، ط ١ ، دار النفائس ، بيروت : ١٩ من المقدمة.
- ^٧ كشف المغطى : ١٠ .
- ^٨ كشف المغطى : ١٠ ، والبلاغة القرآنية في تفسير ابن عاشور - دراسة بلاغية تحليلية ، عتيق بن راشد الفلاسي ، ط ١ / ٢٠١٦ ، بورصة الكتب للنشر والتوزيع - القاهرة - مصر العربية : ١٨ .
- ^٩ يُنظر : المصدر نفسه ، والتقريب لتفسير التحرير : ١ / ٢١ .
- ^{١٠} يُنظر : اعجاز القرآن ، البعداني : ٣٢ ، وفتاوى الشيخ الامام : ١٣ ، والتأويل النحوي : ١٢ ، والطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية : ١٤ .
- ^{١١} يُنظر : التحرير والتنوير : ١ / ٨ .
- ^{١٢} يقع الجزء الثامن على قسمين وكل قسم ترقيمه مختلف عن الآخر ، والجزء الثاني مقسوم على كتابين لكن الترقيم واحد .
- ^{١٣} يُنظر : التحرير والتنوير : ٣٠ / ٦٣٦ .
- ^{١٤} يُنظر المصادر التي تحدثت عنه وهي كثر مثل : التحرير والتنوير ، ابو حسان : ١ / ٩١ ، واثر الدلالات اللغوية في التفسير : ، والتأويل النحوي بين الخرق والمعيارية : ١٢ .
- ^{١٥} يُنظر : التحرير والتنوير ، المقدمة العاشرة منه : ١ / ١٠١ .
- ^{١٦} يُنظر : تفسير التحرير والتنوير دراسة منهجية ونقدية : ١ / ١٦٦ .
- ^{١٧} يُنظر : التأويل النحوي : ١٦ ، والطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية : ١٧ .
- ^{١٨} العين للخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) دون طبع وسنة طباعة ، تح : د . مهدي المخزومي ، ود . ابراهيم السامرائي : ٣ / ٣٤٣ .
- ^{١٩} يُنظر : الصحاح للجوهري .

- ٢٠ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية في القاهرة - مصر العربية ، ط ٤ / ٢٠٠٤ م ، الناشر مكتبة الشروق : ٧٠٣ .
- ٢١ يُنظر : مختار الصحاح لابي بكر الرازي (ت ٦٦٦ هـ) ط ١ / ١٩٨٣ م ، دون تحقيق ، دار الرسالة - الكويت : ٤٠٣ .
- ٢٢ يُنظر : القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروآبادي (ت ٨١٧ هـ) ، اعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، ط ٢ / ٢٠٠٣ ، دار احياء التراث العربي - بيروت : ١١٢٧ .
- ٢٣ يُنظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) تح : يوسف الغوش ، ط ٤ / ٢٠٠٧ م ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان : ١٤٣٨ .
- ٢٤ يُنظر : التحرير والتنوير : ١ / ١١٦ .
- ٢٦- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، ط ١ ، ١٩٨٤ هـ ، الدار التونسية للنشر - تونس : ٣٤٠/٢٢ .
- ٢٧- ينظر : حروف المعاني للزجاجي (ت: ٣٤٠هـ) ، تح: علي توفيق ، ط ١ ، ١٩٨٤ م ، مؤسسة الرسالة ، الأردن: ٤٠ ، والكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت: ٥٣٨هـ) ، تح: خليل مأمون ، ط ٣ ، ٢٠٠٩ م ، دار المعرفة ، بيروت: ٢٨٩ ، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي (ت: ٧٤٩هـ) ، تح: طه محسن ، دار الكتب ، الموصل، ١٩٧٦ م: ١٤٣ .
- ٢٨ المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) ، تح: هيثم طعيمة ، ط ١ ، (د - ت) ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت، ٤٩ .
- ٢٩ يُنظر : القاموس المحيط : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروآبادي (ت: ٨١٧هـ) ، تح: محمد المرعشلي ، ط ٢ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت: ١٣٤ .
- ٣٠ يُنظر : القاموس المحيط : ١٠٤٥ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م ، مكتبة لبنان - بيروت: ١٨٥ .
- ٣١ يُنظر : تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) ، تح: سامي محمد السلامة ، ط ٢ ، ١٩٩٩ م ، دار طيبة - الرياض: ٥٦٠/٦ ، والبيان في إعراب مشكلات القرآن : أحمد بن الأحنف اليميني ، تح: أحمد الجندي ، ط ١ ، ٢٠١٨ م ، دار اروقة ، الرياض: ٢١٣/٢ .
- ٣٢ التحرير والتنوير: ٢٣/٢٧٢ .
- ٣٣ يُنظر : لسان العرب لابن منظور : ١/٧٣٠ .
- ٣٤ يُنظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، المعروف بتفسير (الطبري): محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، دار هجر ، الجيزة - مصر : ١٠٨/٢٠ ، المفردات : ٤٦٥ .
- ٣٥ يُنظر : لسان العرب : ١ / ٧٣٠ .
- ٣٦ ديوان طُفَيْلِ الْغَنَوِيِّ ، تح: حسان فلاح أوغلي ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، دار صادر ، بيروت: ٩٣ .
- ٣٧ المصدر نفسه : ٢٣/٢٧٣ .
- ٣٨ اللسان : ١/٢٧٧ ، وينظر : مقاييس اللغة : أحمد بن فارس الرازي (ت: ٣٩٠هـ) ، تح: إبراهيم شمس الدين ، ط ٣ ، ٢٠٠٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت: ٢/٢٠٨ ، وتاج العروس من جواهر القاموس ، للسيد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تح: عبدالكريم العزباوي ، ط ١ ، ١٩٦٧ م ، مطبعة الكويت ، الكويت : ٤٦٧/٣ .

- ٣٩ ينظر : تفسير السعدي : ٢٨.
- ٤١ ينظر : المفردات للراغب الاصفهاني : ٥٧ .
- ٤٢ ينظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي : ١٤٥ .
- ٤٣ ينظر : القاموس المحيط : ١١٥٧.
- ٤٤ ينظر : المفردات : ١٢ ، [أتى].
- ٤٥ ينظر هذا الفصل وهذا المذهب في دلائل الإعجاز ، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي (ت: ٤٧٤هـ) ، تح: ابو فهد ومحمد شاكر، ط٣، ١٩٩٢م، نشر مطبعة المدني- مصر، ودار المدني - جدة: ٢٠٨.
- ٤٦ ينظر : المصاحبة اللفظية في كتب البلاغة، وكان من أبرز في الحديث عنها من القدماء الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) والجرجاني وغيرهم.
- ٤٧ التحرير والتنوير : ٩ / ١٤٤.
- ٤٨ التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي، ط٥، دار عمار - عمان - الأردن: ٣١٣، وبلاغة الكلمة : د. فاضل السامرائي ، ط٥، ٢٠٠٨م، دار عمار - عمان - الأردن: ١٢٥.
- ٤٩ ينظر : الكشف: ٣٩٢، وتفسير القرآن الحكيم ، الشهير بـ (تفسير المنار) للشيخ محمد عبده، ط٢، دار المنار، ١٣٦٧هـ، تح: محمد رشيد رضا رحمه الله : ٩ / ٣٧١.
- ٥٠ التحرير والتنوير : ٩ / ١٤٥.
- ٥١ ينظر : المفردات : ٣٩٥ [فسق].
- ٥٢ ينظر : المفردات : ٣٢٧، [ظلم]، ولمزيد بيان هذه الآيات ، ينظر: أسرار التكرار للكرماني: ٢٨.
- ٥٣ كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) : ٢٦٥ ، وينظر معه : بيان اعجاز القرآن للخطابي (٣٨٨ هـ) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تح: محمد خلف الله ، و د. د. محمد زغلول سلام ، ط ٣ / ١٩٧٦ م ، دار المعارف - مصر : ٢٧ .
- ٥٤ ينظر : لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل ، رسالة ماجستير ، لافي محمد محمود زقوت، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية - نابلس - فلسطين، ٢٠١٠: ٦٣.
- ٥٥ البيت من ديوان الاعشى ، ميمون بن قيس ، شرح وتحقيق: د. محمد حسين ، ط٢، ١٩٤٢م ، نشر مكتبة الآداب بالجماميز ، المطبعة النموذجية: ٢١٥.
- ٥٦ التحرير والتنوير : ١٨ / ٤٦.
- ٥٧ ينظر : المفردات : ٢٤٧، والمصباح المنير : ٢٢٥ ، [سلك].
- ٥٨ ينظر : مختار الصحاح : ١٥٦، [حمل].
- ٥٩ ينظر : المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده (ت: ٤٥٨هـ)، تح: عبدالستار أحمد فرج ، ط١، ١٩٥٨م، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية: ٧١٦/٦، وينظر : تحفة الأريب بجل ما في القرآن من الغريب ، لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تح: سمير المجذوب، ط١، ١٩٨٣م، المكتب الاسلامي ، بيروت - لبنان، : ١٦٦ .
- ٦٠ لمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي، (د - ط) ، (د - ت) : ١٠٥.
- ٦١ قضايا السياق الدلالية عند المفسرين ، للدكتور عدنان قحطان عبدالله ، جامعة تكريت ، ط١، ٢٠١٨م، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن : ٣٧٨.

- ^{٦٢} ينظر في صفات الأصوات كتب الأصوات ومنها: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد للدكتور غانم قدوري الحمد ، ط٢، ٢٠٧٧م ، دار عمار - عمان - الأردن : ٢٠٤، وبعدها.
- ^{٦٣} ينظر : التحرير والتنوير : ٢٠ / ٢٣٩.
- ^{٦٤} المفردات : ٥١٧ . مادة (نصر) .
- ^{٦٥} ينظر : في ظلال القرآن : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق : ٢٠ / ٢٧٣٣.
- ^{٦٦} ينظر : تيسير الكريم الرحمن من تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) للشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - تقديم : عبدالله بن عبدالعزيز ، والشيخ محمد صالح العثيمين - رحمه الله - ، تح: عبدالرحمن بن مَعْلَا اللواحق، مجلة البيان ، الرياض: ٦٩٨.
- ^{٦٧} المفردات : ٥٠٦ .
- ^{٦٨} القاموس المحيط : ١٢٢٧ .
- ^{٦٩} يُنظر : الفروق في اللغة : ٣٥٧ .
- ^{٧٠} ينظر : الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٥هـ)، تح: محمد علي النجار ، ط ١ / ٢٠١٢ م ، عالم الكتب - بيروت : ٤١١ .
- ^{٧١} ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ، معمر بن المثنى التيمي ، تعليق : محمد فؤاد سزكين ، ط ٢ / ١٩٨١ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان : ٢٤١ ، ومختار الصحاح : ٦٦٤ .
- ^{٧٢} ينظر : المصباح المنير : ٤٧٤، [نسخ].
- ^{٧٣} القاموس المحيط : ٢٥٢، [نسخ] ، والمنتخب : ٢٦٢/٢ .
- ^{٧٤} ينظر : المفردات: ٩٧، [جرى] ، وينظر : مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، ط ١، ١٩٥٨م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر: ٣٤١/٤، ومن بلاغة القرآن ، أحمد بدوي ، دار نهضة مصر ، مصر، ٢٠٠٥م: ٤٠.
- ^{٧٥} ينظر : المصباح المنير : ٨٢[جرى].
- ^{٧٦} ينظر : القاموس المحيط : ١١٦٨[جرى]، والفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، تح: جمال عبدالغني مدغمش ، ط٢، ٢٠٠٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤، وينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، جمال الدين ابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٥م: ٣٥٧/٢، ومعاني النحو ، د. فاضل السامرائي ، ط ١، دار الفكر ، عمان - الأردن، ٢٠٠٠م: ٢٦٦/٣ ، وينظر : دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، د. محمد ياس خضر الدوري، ط ١، ٢٠٠٦م، دار الكتب العلمية ، بيروت: ٤١، وبعدها .
- ^{٧٧} ينظر : المدخل الى علم أصوات العربية ، للدكتور غانم قدوري الحمد، ط ١، ٢٠٠٢م ، مطبعة المجمع العلمي العراقي: ٧٩.
- ^{٧٨} ينظر : الخصائص : ٤١١.
- ^{٧٩} ينظر : معاني القرآن للأخفش : أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، تح: د. هدى محمود قراعه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٠م: ٥٣٠/٢، والكشاف: ١٠٧٤، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي: ٩٨٠.
- ^{٨٠} يُنظر : تفسير الكشاف : ١٠٧٣ .

Sources

- 1- Drainage buildings in the Book of Sibweh: Dr. Khadija Al-Hadithi, I1, 2003, Library of Lebanon, Beirut .
- 2- The effect of linguistic semantics in the interpretation of Imam Taher bin Ashour in his book (Liberation and Enlightenment) thesis, Musharraf bin Ahmed Jamaan al-Zahrani, Um al-Qura University, Faculty of Da'wa and The Origins of Religion, Department of The Book and Sunnah, Saudi Arabia, 1427 E.
- 3- The secrets of repetition in the Qur'an to the crown of the Karmani readers (died 500 h) T: Abdelkader Ahmed Atta, (D-I) (D-T), Dar al-Sitta, Cairo.
- 4- The miracle of the Holy Quran at Imam Bin Ashour in his interpretation of liberation and enlightenment, written by Mahmoud bin Ali bin Ahmed Al-Adani, i1 / 1435 E, King Saud University, Faculty of Education, Department of Islamic Culture, Saudi Arabia, Riyadh.,
- 5- Qur'anic eloquence in the interpretation of Ibn Ashour - analytical rhetorical study, Atiq bin Rashid al-Falasi, i1 / 2016, Book Exchange for Publishing and Distribution - Cairo - Egypt Arab.
- 6- The eloquence of the word: Dr. Fadhil Al-Samarrai, I5, 2008, Dar Ammar, Amman, Jordan^٦
- 7- The Statement of The Qur'an Miracle (388 Ah) Abu Suleiman Hamad bin Mohammed bin Ibrahim bin Al-Khattab al-Basti, known as al-Khattabi, in three letters in The Miracle of the Qur'an, Tah: Muhammad Khalafallah, and Dr. Mohammed Zaghloul Salam, i. 3/1976, Dar al-Ma'ad, Egypt.
- 8- Statement in the expression of the problems of the Qur'an: Ahmad bin Al-Ahnaf Al-Yemeni, Tah: Ahmed al-Jundi, I1, 2018, Dar Arwaqa, Riyadh.
- 9- The bride's crown from the jewels of the dictionary, mr. Morteza Hussein Zubaidi, T: Abdul Karim Al-Azzawi, I1, 1967, Kuwait Press, Kuwait.
- 10- Editing the good meaning and enlightening the new mind from the interpretation of the glorious book: Mohamed Taher bin Mohamed bin Mohamed Taher bin Ashour al-Tunisi (deceased: 1393 Ah), i1, 1984, The Tunisian Publishing House, Tunis.
- 11- The masterpiece of the Arab with a solution in the Qur'an from the stranger, by Abu Hayyan al-Andalusi (t: 745 Ah), T: Samir Al-Majzoub, I1, 1983, Islamic Office, Beirut, Lebanon.

12-Qur'anic expression: Dr. Fadhil al-Samarrai, T5, Dar Ammar, Amman, Jordan

13- Education at the Zaytouna Mosque during the first half of the 20th century, study in the curriculum and program, d. Mohamed Bou Tibi, University of Yahya Fares-Medea, Maghreb Manuscript Supremo, Issue 5- 2017.

14- The interpretation of the liberation and enlightenment of the mark Muhammad Taher bin Ashour a systematic and critical study, Dr. Jamal Mahmoud Abu Hassan, i 1 / 2011, Dar al-Fath, Jordan.

15-The interpretation of the Holy Qur'an, known as "The Interpretation of the Manar" by Sheikh Muhammad Abdo, T2, Dar al-Manar, 1367 Ah, T:Muhammad Rashid Reza, May God rest his soul.

16-The great Qur'an's interpretation of Hafiz Ibn Kabir (t: 774 Ah), Tah: Sami Muhammad al-Salama, T2, 1999, Dar Taiba, Riyadh.

17-Tayseer al-Rahman from the interpretation of the words of Al-Manan (Al-Saadi's interpretation) to Sheikh Abdulrahman al-Saadi - May God rest his soul - presented: Abdullah bin Abdulaziz, Sheikh Mohammed Saleh al-Athimin - May God rest his soul- Tah: Abdulrahman bin Maala al-Wahad, Al Bayan Magazine, Riyadh.

18-Al-Bayan Mosque on the Interpretation of the Qur'an, known as the Interpretation (Al-Tabari): Muhammad ibn Jarir bin Yazid bin Ghaleb al-Ameli, Abu Jaafar al-Tabari (T:310H), T: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, i1, 1422 Ah- 2001, Dar Hijr, Giza, Egypt.

19-The Dani genie in the letters of meaning of al-Maradi (T:749Ah), Tah: Taha Mohsen, Dar al Books, Mosul, 1976 .

Letters of meaning for glass (T: ٣٤٠Ah), T: Ali Tawfiq, I١, ١٩٨٤20- Al-Resala Foundation, Jordan. - Characteristics, by Abu al-Fath Othman bin Jani (T: ٣٩٥

H), T: Muhammad Ali al-Najjar, i .١/ ٢٠١٢21- World of Books, Beirut

2 - Acoustic Studies by The Scholars of Intonation by Dr. Ghanem Kaddouri Al-Hamad, I٢

.٢٠٧٧, Darammar- Amman, Jordan

23- Minutes of linguistic differences in the Qur'anic statement, Dr. Mohammed Yas Khader al-Douri, i١, ٢٠٠٦, Dar al-Sa'ad Al-Scientific, Beirut.

Signs of Miracles, by Abu Bakr Abdul Qahir al-Jarjani Grammar (T: ٤٧٤24- H), T: Abu Fahd and Mohammed Shaker, I٣, ١٩٩٢, publishing al-Madani Press- Egypt, and Dar al-Madani – Jeddah.

25- Diwan al-Ashi, Memon bin Qais, explanation and realization: Dr. Mohammed Hussein, T ١٩٤٢, publishing the Library of Literature in Jamames, model printing press .

26- Diwan Tafil Al-Ghannoi, Tah: Hassan Falah Ogli, T ,dar sader , Beirut 1997 .

27 -Sheikh al-Islam Al-Akbar Mohammed Al-Taher bin Ashour, written by Sheikh Mohammed al-Habib bin Al-Khawaja, i . ٢٠٠٨/١ , Arab Book House, Tunisia

28- The Sheikh of the Great Mosque, Muhammad al-Taher bin Ashour, his life and his effects. Belkacem Al-Ghali i . ١/ ١٩٩٦AD, Dar Ibn Hazm, Beirut

Differences in language by Abu Hilal al-Askari (T: ٢٩٥29- H), T: Jamal Abdelghani Mdaghmesh, I. ٢, ٢٠٠٦, Al-Resala Foundation, Beirut

In the shadows of the Qur'an: Sayyid Qutb Ibrahim Hussein al-Sharpai (deceased: ١٣٨٥30- Ah), Dar al-Shorouk.

31- The Surrounding Dictionary: Majd al-Din Abu Tahir Muhammad bin Ya'qub al-Fayrouzabadi (T: ٨١٧Ah), T: Muhammad al-Marashli, T٢, Arab Heritage Neighborhoods House, Beirut.

32- Semantic context issues for the interpreters, dr. Adnan Qahtan Abdullah, Tikrit University, I Modern Book Scientist, Irbid- Jordan.

33- The Book of The Two Industries, Writing and Poetry, By Hilal Al-Hassan bin Abdullah bin Sahl al-Askari, T: Mohammed Abu Fadl, Ali Mohammed Al-Bejawi, I ١/ ١٩٥٢A.D., The House of The Revival of Arabic Books, Beirut.

34- Scout ing the facts of downloading and the eyes of the sayings in the faces of interpretation: Abu al-Qasim Mahmoud bin Omar al-Zamakhshari al-Khwarizmi (t: ٥٢٨H), Tah: Khalil Maamoun, I٣, ٢٠٠٩, Dar al-Knowledge, Beirut.

35- The Language of Qur'anic Discourse in The Children of Israel, Master's Thesis, Lavi Mohammed Mahmoud Zakout, Graduate School, Najah National University, Nablus, Palestine, ٢٠١٠.

Graphic touches of Dr. Fadel Al-Samarrai, (D-I), (D-T(36-

37- Majaz al-Quran Lababi Obeida, Muammar bin Muthanna Al-Taimi, Comment: Mohammed Fouad Szakin, I ٢/ ١٩٨١, Al-Resala Foundation, Beirut- Lebanon .

The Arbitrator and the Great Ocean, for the son of Alady (T: ٤٥٨38- H), J: Abdul Sattar Ahmed Faraj, I١, ١٩٥٨, Institute of Manuscripts at the Arab League.

39- The entrance to the science of Arabic voices, by Dr. Ghanem Kaddouri al-Hamd, May God bless him, i١, ٢٠٠٢, The Iraqi Scientific Society Press .

40 -The Qur'an meanings of the light: Abu al-Hassan al-Maja'i al-Maja'i, al-Balkhi and then al-Basri, known as The Middle Light (T: ٢١٥Ah), T.I., Dr. Huda Mahmoud Qaraa, Al-Khanji Library, Cairo, I . ٢, ٢٠١٠ .

Meanings of Grammar, Dr. Fadhil al-Samarrai, T\, Dar al-Fikr, Amman, Jordan, ٢٠٠٠41-

Singer of the Labib books, Jamal al-Din Iin Hisham (T: ٧٦١ 42- H), T: Mohammed Mohieddin Abdel Hamid, Dar al-Tala'a, Cairo,2005 .

43- Singer who needs to know the meanings of the terms of the curriculum: Shamseddine, Mohammed bin Ahmed al-Khatib al-Sharbini al-Shafei (t: ٩٧٧Ah), i\, ١٩٥٨, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Printing Company, Egypt .

44- Vocabulary in the strange ness of the Qur'an: Abu al-Qasim al-Hussein bin Mohammed, known as Ragheb al-Isfahani (t: ٥٠٧Ah), T: Haitham Ta'imi, T\, (D-T), The House of Arab Heritage Neighborhoods, Beirut .

45- The Purposes of Islamic Law by Taher Bin Ashour, The Realization of Muhammad Al-Taher Al-Missawi, I .\, Dar al-Nafis, Beirut .

Language Standards: Ahmed bin Fares Al Razi (T:٣٩٠), T:Ibrahim Shamseddine, ٣46 - Scientific Books House, Beirut .

47- From the eloquence of the Qur'an, Ahmed Badawi, House of Renaissance Egypt,2005.